مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية
Eissn : ...-..... Issn : 2353-043X
المجلد 04/ العـدد 01: (2017)، ص 75- 97

مفهوم الوسطية والاعتدال في الخطاب الديني الإسلامي

الاستاذ: العربي هشماوي
جامعة السانيا وهران- الجزائر.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد :

فليس لأحد اليوم أن يجادل في مدى تأثير الخطاب الديني في حياة الناس، ومهما كان هذا الخطاب قاصرا أو مقصرا، فلا يمكن بأي حال تهميشه، فقد ترسخ الدين في حياتنا بالرغم من كل الحملات المناوئة له، ومع ذلك فإن الممارسين للتوجيهات والخطب المسجدية قد تكون أفعالهم وأقوالهم - بقصد أو بدونه - مجانبة للصواب إن لم يمتلكوا أدواتها و آلياتها أو غابت عن أذهانهم مقاصدها.

فحين يصدر من الخطيب إضرار بالمجتمع وهو يحسب أنه يؤدي واجبا شرعيا، ومردّه سوء الفهم للنصوص الدينية خاصة إذا رافقه اعتقاد بامتلاك النص الأصح واحتكار الفهم الأرجح في حالات الاختلاف والتنازع مما ينجم عنه إقصاء لأي اجتهاد مخالف مهما كان قائله ومنزلته، وبدلا من أن يتخذ من الدين رسالة أخوة ومحبة و تناصح، وبناء وتعاون وتآزر، سيجعل منه محكمة أو محاكمات، وهكذا قد يتحول حامل الخطاب الديني إلى قنبلة موقوته في المجتمع، يقول أحد الدعاة المعاصرين في كتاب مشكلات في طريق الحياة الإسلامية: إن طبائع بعض الناس تحوّل الدين عن وجهته إلى وجهتها هي، فبدل أن تهدي تصدّ، وبدل أن تسدي تسلب، وقد نبه القرآن الكريم إلى خطورة نفر من الأحبار والرهبان، جعلوا الدين كهانة تفسد بها الفطرة، وتصطاد بها المنفعة، قال تعالى:[**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**] سورة التوبة/34.

إن الخطاب الذي هو أساس التبليغ قد انقسم الناس فيه إلى فئات ما بين متساهل و متشدد و بين وسط فيه، وهو الذي نسعى لتوضيح معالمه من خلال هذا البحث، والذي قسمته إلى أربعة مباحث كالآتي:

المنارة للاستشارات

الاستاذ: العربي هشماوي

المبحث الأول : الخطاب الديني : دلالته وأبعاده

الفرع الأول : تعريف الخطاب الديني

الفرع الثاني :مكانة الخطاب الديني في الإسلام

الفرع الثالث : أسس الخطاب الديني

الفرع الرابع : أهدافه ووظائفه

المبحث الثاني: معنى الوسطية و المفاهيم المتعلقة بها

الفرع الأول: معنى الوسطية

الفرع الثاني: مفهوم الاعتدال

الفرع الثالث: مفهوم الغلو والإفراط

المبحث الثالث: مظاهر اعتدال الخطاب الديني في السنة النبوية

الفرع الأول: في جانب العقيدة

الفرع الثاني: في جانب العبادة:

الفرع الثالث: في جانب الأخلاق والسلوك

المبحث الرابع : أسس الخطاب الديني المعتدل:

أ- الربانية في المصدر والمنشأ

ب- التيسير والتسهيل على الناس

ج- التدرج في الخطاب

د - مراعاة الأولويات

هـ- التجديد في الخطاب الديني

و- مراعاة الحكمة

مقدمة :

لقد شرّف الله الخطاب بأن اختاره ليكون وسيلته للتواصل مع البشر بواسطة الأنبياء والرسل قال الله تعالى: **[يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَاتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ]**. [المائدة: 67] وأشار سبحانه إلى أهمية هذا الخطاب وأثره ودوره بان جعله كافياً لإقامة حجته على الناس أجمعين، قال تعالى:**[رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا]**. [سورة النساء 165]

المنارة للاستشارات

وقبل الحديث عن مفهوم الوسطية والاعتدال في الخطاب الديني لابد من التقديم ببيان حقيقة الخطاب الديني الإسلامي وما هي دلالاته وأبعاده؟

المبحث الأول : الخطاب الديني : دلالته وأبعاده

الفرع الأول : تعريف الخطاب الديني:

الخطاب الديني بهذا التركيب الإضافي هو مصطلح جديد، ذاع في العصر الحديث، وأول من أطلقه الغرب، ولم يُعرف هذا الاصطلاح من قبل في ثقافة المسلمين، بمعنى أنه ليس مصطلحا له وضع شرعي في الإسلام كالمصطلحات الشرعية الأخرى، وإنما هو مصطلح جديد، اصطلح عليه أهل هذا الزمان.

وقبل أن نشرع بالتعريف الاصطلاحي لكلمة (الخطاب)، نبدأ بالتعريف اللغوي أولاً، لأن مدلولات اللغة غالبا ما تؤثر في المصطلحات والمعاني التي يصطلح عليها الناس.

أولاً: تعريف الخطاب لغةً: جاء في لسان العرب (1) أن الخطاب هو مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان، وفصل الخطاب أن يفصل بين الحق والباطل،ويميز بين الحكم وضده.والخطاب أيضا هو الكلام الذي يقصد به الإفهام أو توجيه الكلام نحو السامع. (2)

وقد جاءت مادة (خطب) في القرآن الكريم تسع مرات، ولفظ (خطاب) ثلاث مرات، منها:

قال تعالى: **(وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ)** سورة ص الآية 20.

وقال جل شأنه: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً) .(سورة الفرقان ص63.)

وقال سبحانه وتعالى: (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ). (سورة هود ص37.)

ويلاحظ في سياق ورود لفظ "خطاب" في هذه الآية الكريمة أن الخطاب مقرون بالحكمة.

وهنا مجالٌ فسيحٌ للتأمل والاستبصار والتدقيق في المعنى العميق للفظ "خطاب"، مما يخرج به عن المفهوم اللغوي بحسبانه مراجعةً للكلام، أو الكلام الذي يقصد به الإفهام، ويرتقي به إلى مستوى أرفع شديد اللصوق بمعنى الحكمة التي هي وضع الأمور في موضعها وتدبيرها على ما ينبغي لها. ويَتَلاقَى المفهومان اللغوي والقرآني، في التأكيد على

المنارة للاستشارات

الدلالة السامية للخطاب، على اعتبار أن "فصل الخطاب" لا يتم على الوجه الأفضل، إلاّ إذا اقترن بالحكمة، وكان القصد منه تبيان وجه الحق على أكمل الوجوه وأتمّها. (3)

ثانياً: تعريف الخطاب اصطلاحاً:

يتفق بعض الباحثين في الخطاب الديني بأن المقصود به هو : "توجيه الكلام المتعلق بأمور الدين نحو الغير لإفهامه) وعرفه الأصفهاني بأنه توجيه ما أفاد نحو المستمع أو من في حكمه". (4)

أو هو: كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، وتفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي هي أداة الخطاب ووعاء الأفكار.

وعندما ننسب الخطاب إلى الدين - ونحن هنا نقصد الدين الإسلامي قطعا - وإن كان يسمى الخطاب الديني غير الإسلامي خطابا دينيا، كالخطاب الديني النصراني، واليهودي... حتى أنه حينما أطلق الغرب هذا المصطلح، قصد به خطاب الإسلام. (5)

ولكن من خلال المفاهيم الحديثة يلاحظ أن مصطلح الخطاب أعمق من ذلك فهو اصطلاح فلسفي، يقارب في الدلالة "المقولةَ الفلسفية". فالخطاب الفلسفي لفلان، هو منهاجه في التفكير والتصوّر وفي التعبير عن أفكاره وتصوراته ،ودخل هذا المفهوم في الفكر السياسي المعاصر، فصار الخطاب السياسي، منطوياً على المنظومة الفكرية والمضمون الإيديولوجي، مما يجعل الخطاب السياسي لهذه الجماعة معبراً عن عقيدتها السياسية واختياراتها المذهبية، فالخطاب في هذا المقام ليس مجرد أسلوب للتبليغ، وطريقة للتعبير عن الرأي والموقف .. لكنه ، أيضاً ، الوعاء المعبّر عن العقيدة والروح والفلسفة والمذهب.

وينطبق هذا المفهوم أيضاً، على الخطاب الثقافي، والخطاب الأدبي، والخطاب الفني، والخطاب الإعلامي، وإن كان الخطاب الإعلامي أكثر استيعاباً للمضامين الواسعة، بحيث يمكن أن يستوعب المستويات الخطابية جميعاً، فيكون الخطاب الإعلامي الديني، والخطاب الإعلامي الفلسفي، والخطاب الإعلامي السياسي ... الخ.

وإلى هذا المعنى تنصرف الأذهان عند الحديث عن الخطاب الديني الإسلامي، باعتبار أنّ المقصود هو الوسيلة التي يخاطب بها المسلمون العالم، والمنهاج الذي يصوغون من خلاله أفكارهم وآراءهم ومواقفهم التي يريدون إيصالها إلى القطاع الأوسع من الرأي

المنارة للاستشارات

العام العالمي، وذلك عبر وسائط الإعلام والتواصل المختلفة، من مقروءةٍ ومرئيةٍ ومسموعة.

وبناءً على ذلك، فإننا نستطيع أن نقول أن الخطاب الإسلامي هو الإطار الأوسع للدعوة الإسلامية بالمفهوم العميق والشامل. (6)

الفرع الثاني : مكانة الخطاب الديني في الإسلام:

يحتل الخطاب الديني مكانة خاصة في الإسلام، باعتباره يحمل الرسالة الإلهية، أي وحي الله تعالى إلى رسله ويأتي بالتبليغ،والبشرى والإنذار ، والأمر والنهي والتكليف بوجه عام ، وهو يتناول الدين الإسلامي بالتفصيل والتحليل، بما يجعله مفهوما معمولا به عند أهله،مقبولا عند غير أهله.

ولأجل ذلك وغيره كان الخطاب الديني محتويا على كل أدوات المخاطبة والتبليغ والإقناع والاستمالة بكل صفاتها وحالاتها وفق الحالة والقضية والغاية المرجوة في قضية بعينها أو قضايا مختلفة،وكثيرا ما جاء في القرآن الكريم من الخطابات بـ: (يأيها الذين امنوا)، (يأيها الناس)، (يأيها الإنسان)، (يأهل الكتاب)، (يا بني ادم).....وكذلك الحديث النبوي الشريف والحديث القدسي.

الفرع الثالث :أسس ومقومات الخطاب الديني:

ينبني الخطاب الديني الإسلامي على عدة أصول ومرجعيات أساسية وثانوية،تعد هي المنطلقات الأساسية والمبادئ الأولى التي يستند إليها في ممارسة العمل والنشاط الخطابي.

1- **الوحي:** أي القرآن والسنة النبوية وما أرشد إليه من إجماع الصحابة وقياس، وهي المصادر التي تقوم عليها الثقافة الإسلامية وينتج عنها كل فكر إسلامي.

ويجب أن يجمع الخطاب الديني الإسلامي المعاصر بين المعرفة الشرعية والطبيعية بين كتاب الله المسطور، أي القرآن وبين كتاب الله المنظور، أي الكون. وقد جمع القرآن الكريم بين علوم الشريعة التي بها يستقيم الدين وبين علوم الحياة التي تستقيم بها الدنيا، ولا بد من إقامة كليهما ،لأنهما من مشكاة واحدة، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نقيم الوزن بالقسط. (7)

2- **أقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين.**

3- **أقوال العلماء والحكماء والدعاة من مختلف المذاهب الإسلامية.**

المنارة للاستشارات

4- **نظر الأمة:** فإن للأمة حق النظر والاجتهاد والتقدير فيما عدا الوحي الإلهي، من النظرات البشرية المختلفة في الاختيارات المذهبية، ولها أن تختار من المذاهب الفقهية والاجتماعية، ما يناسبها ويليق بطبيعتها وأهدافها، بأن تتمذهب بمذهب معين، تعتمده كمرجعية اجتماعية أو محلية أو وطنية. (8)

5- **اللغة العربية:** وهي لغة الإسلام ووعاء أفكاره ومعارفه، وهي جزء جوهري في إعجاز القران، والقرآن لا يكون قرآنا إلا بها، ونحن متعبدون بلفظه، قال الله تعالى: **(إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** (سورة الزخرف 3.)، ولا يمكن الاجتهاد إلا بها، وهي شرط أساسي من شروط الاجتهاد، لأن النصوص الشرعية جاءت من عند الله بلفظها، ولهذا كان من الواجب أن تكون اللغة العربية هي التي يقوم عليها الخطاب الديني، ويجب مزجه باللغة العربية، لأنه بخصائصهما المشتركة تتولد طاقة عظيمة كفيلة بإنهاض المسلمين. (9)

الفرع الرابع :أهداف الخطاب الديني في الإسلام ووظائفه :

يهدف الخطاب الديني في الإسلام إلى تحقيق أهداف نبيلة وغايات سامية، من بينها:(10)

1- الإسلام، بإسلام الناس لرب العالمين.

2- التعبد، بإقبال الناس على عبادة الله تعالى.

3- الدينونة الصادقة لله تعالى، بلا شرك ولا نفاق ولا ردة ولا إلحاد.

4- الإخلاص، بإخلاص العمل لله، بلا رياء ولا شبهة.

5- التغيير، بتغيير المنكر، وإرساء الفضيلة.

6- التصحيح، في العقيدة والعبادة والسلوك.

7- التطويع، فيكون الناس طائعين لله تعالى بلا تمرد.

8- التأثير، بالتأثير في مسارات حياة الفرد والمجتمع والأمة، وصناعة الشخصية الإسلامية وفق رغبات الإسلام.

9- التجنيد، بجعل الناس جنودا مجندين لفائدة الخطاب نفسه، يضطلعون بواجباته، ويقومون بمصالحه، ويسعون في خدمة قضاياه الدينية والمدنية المختلفة.

المنارة للاستشارات

10- الإحساس، بالإحساس بالانتماء، والشعور بالواجب، ورعاية الأمانة، وتقدير المسؤولية.

11- التبليغ، بتبليغ الإسلام عن الله ورسله وأنبيائه، وهو واجب ديني على كل مسلم.

12- إبراء الذمة، وذلك من قِبل العلماء والأئمة والدعاة.

13- التذكير، بتذكير الناس بتكاليفهم وواجباتهم وما ينبغي عليهم بحق الخالق سبحانه وتعالى ودينه، والتذكير مطلوب في كل الأحوال، مع الكافرين والمؤمنين، والأشرار والأخيار، والفجار والأبرار.

فالإنسان بحاجة ماسة إلى التذكير والمراجعة والتنبيه، بحكم تدخل الشيطان في الإنسان، وتداخل العلاقات البشرية، وكثرة الاحتكاك اليومي بين الناس في الحياة، وسيطرة الأهواء أحيانا، وعوامل النسيان والغفلة والتفريط والتقصير والتسويف وسوء التقدير، وغير ذلك، والذكرى تنفع المؤمنين.

14- التوعية والتحسيس في المسائل الدينية والدنيوية المختلفة.

15- بناء الوحدة الإسلامية بين المسلمين، والبحث في فعاليتها، وحراسة ضماناتها، وملاحظة أدائها، وصيانة عواملها الحيوية باستمرار.

16- رفع درجات الإيمان عند المسلمين، وزيادة فواعله ومردوده، وتقوية ثمراته ومنافعه المختلفة.

17- تنمية الفعل الديني، وإثراء محاصيله ومكاسبه المختلفة، وتقوية الممارسة الدينية عند المسلمين.

18- إشاعة الخير، وتحجيم الشر.

19- القضاء على الفتن والاضطرابات، وتخليص المسلمين من عواقبها المؤلمة الكريهة.

20- خدمة مصالح الإسلام والمسلمين في العالم، بما لا يصطدم مع مصالح الغير وخصوصياته.

وظائف الخطاب الديني:

يقوم الخطاب الديني بعدة وظائف حيوية مهمة لتكوين الإنسان المؤمن وإعداده وفق شريعة الله تعالى، ومن ذلك؛ ما يأتي عرضه:

المنارة للاستشارات

1- **أنه خطاب عقلاني، منطقي:** وذلك لأنه خطاب موافق للعقل، مطابق لأحكام المنطق السليم، قائم على الحق، متماشٍ مع الحقيقة، يقوم على الدليل والحجة والبرهان، ولا يقيم وزنا للمهاترات والسفاهات والأكاذيب والأساطير والخرافات، كما لا يخضع لقواعد المنطق الحق، وليس له اعتبار عند من له أدنى مسكة عقل في ذلك.

2- **واقعي:** وذلك لأنه مستوحى من الواقع، متعايش، متطابق معه، قائم على تأهيل الواقع وتوجيهه، بما يجعل الواقع واقعا سليما وفق ما ينسجم مع حقيقة الكون والوجود.

3- **تشخيصي:** يتناول القضايا بالتحليل والعمق والدراسة التشريحية الكاملة، بيانا للخير المتأتي منها أو الشر المتقادح عنها، عملا وحذرا.

4- **علاجي:** يقدِّم الأدوية ويحدِّد طرق العلاج لكل الوقائع والأحداث المختلفة الجارية على الأرض في حياة الناس، بما يضمن السلامة الإنسانية في حياة الفرد والمجتمع والأمة والبشرية جمعاء.

5- **تحصيني، مقاوم:** يكسب المخاطب حصانة شرعية وأخلاقية، ويقوي أجهزة النفس والروح المناعية، تراه يرفع درجات اليقظة في نفس المخاطب، ويعطيه مناعة مكتسبة ومقاومة متجددة باستمرار، فهو خطاب مضاد للمرض والعدوى.

6- **تعليمي، تربوي:** وذلك في قضية الحياة والكون عامة، تراه يقدِّم مادة تعليمية هامة وكافية بأسلوب تربوي، هادف.

7- **تبليغي:** يبلِّغ عن الله تعالى ورسوله، ويحمل البشرى والإنذار إلى كافة الناس في العالم.

8- **تجميعي:** فهو خطاب جامع، ضمُوم، لَموم، موحِّد، يجمع المتفرق، ويلُم الشتات، ويقوي القواسم المشتركة، ويذيب الفوارق، يزيد من همزات الوصل، ويقلِّص همزات القطع، ويتجاوز الخلافات الناشئة في الذات الإسلامية.

قال تعالى:[**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**] سورة الأنبياء92.، وقال تعالى:[**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**]. سورة المومنون52.

فالأمة واحدة في المبدأ والوسيلة والتاريخ المشترك والرسالة الواحدة والغاية الواحدة، ولذلك دعا الإسلام إلى الأخوة والتآخي، بالإصلاح والصلح والمصالحة بين المؤمنين في المقامات والاعتبارات المختلفة، قال تعالى:[**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**].سورة الحجرات10

المنارة للاستشارات

إقناعي: فهو خطاب مقنع، مشحون بعناصر الإقناع والبراهين الدالة والإثباتات المؤيدة، بما يصب في إقناع الفكر وتوجيه المنطق، بأسلوب علمي راق، وفق مناهج المنطق في التعامل مع العقول.

9- **تأثيري:** فهو خطاب مؤثر، يؤثر في المخاطَب ويستميله، ويستخدم في ذلك عناصر التأثير والاستمالة والجذب الشرعية الثابتة التي لا بد منها في التعامل مع النفوس، إذ لا يمكن مخاطبة الإنسان في عقله وحده مصروفا عن وجدانه ومشاعره، فالعقل يؤثر في النفس والنفس تؤثر في العقل بما لا غرابة فيه.

ولذلك، فالخطاب الديني يقوم بعملية الإقناع والاستمالة في تبليغ خطابه وإيصال رسالته إلى المخاطبين، وهو في ذلك يخاطب العقل والوجدان في آن معا.

10- **إعدادي،** تأهيلي: يرمي إلى صناعة الإنسان المسلم وتأهيله، ليكون هو الأفضل في العالم و الأمكن في الأرض، بإذن الله تعالى.

11- **ردعي، زجري:** وذلك في أسلوب الردع، بمعاقبة المعتدين والمصرّين، والزجر، بترهيب العصاة المتمردين المعتدين، في مواجهة العدوان والمعاصي والجرائم، ونحو ذلك.

12- **تحفيزي:** فهو خطاب حافز، ينشِّط الإنسان، ويثيره، ويدعوه إلى المطلوب بمقابل مادي أو معنوي عاجلا أو آجلا، فهو خطاب يجعل في الابتسامة الأخوية أجرا، وفي شق تمرة صدقة، وفي الخطوة الشرعية أجرا، ويمحو السيئات، بل يبدل السيئات حسنات، وما شابه.

13- **إرشادي:** أي توجيهي، مرشد، يرشد إلى الخير والصلاح، ويقدم النصيحة الضرورية الواجبة عند الحاجة إليها في أمر الدين والدنيا.

14- **بياني:** يبين الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والخير من الشر، والصلاح من الفساد، والصواب من الخطأ، والحسنة من السيئة، ونحو ذلك.

15- **إصلاحي:** أي تغييري قائم على الإصلاح في الحياة في كل ما يحتاج إلى ذلك في حياة الناس.

16- **كوني:** يدعو إلى الإيمان والتوحيد والوحدة، لا يفرق بين زمان ومكان، مهما تباعدت الأزمان وتطاولت الأعصار وتباعدت المسافات واختلفت الأماكن، من الأزل إلى الأبد.

المنارة للاستشارات

17- **تمييزي**: أي مميّز، مفصِّل بين المسلمين والكافرين، المكلفين وغير المكلفين، الأبرار والفجار، الأخيار والأشرار، الأطياب والأخباث، الرجال والنساء، انطلاقا من أن لكل من هذه الأقسام وغيرها خصوصية مميزة في الجانب الفطري والنفسي والعملي في الحياة.

18- **تعبوي:** يقوم بتعبئة المسلمين وإكسابهم إمكانات روحية ونفسية قوية في مواجهة الحياة، وهو لأجل ذلك يقوم بعملية تفريغ الإنسان من الشوائب والسوالب، ثم يملؤه بالفوائد والمواجب، ولذلك نقل الصحابة الكرام عن العمل النبوي الدعوي الخطابي فيهم، فقال بعضهم:[كان رسول الله ρ يُفرغنا، ثم يَملؤنا]، أي ما يسمى عند المحدثين وأرباب السلوك بـ: التخلية قبل التحلية.

19- **استنفاري:** وذلك للمؤمن الضعيف والمسلم المتهاون، فتراه يستنفره ويستثيره من الداخل، لتعديل موقفه، وتغيير حالته السلبية من السيئ إلى الأحسن، بنفرته وإعادة أخذ مكانه الشرعي الطبيعي المناسب في الحياة. (11)

20- **تجديدي** : يجدد عمل الإنسان وتاريخه، بالتوبة وتبديل السيئات إلى حسنات

21- **باعث** : فهو خطاب يبعث على الالتزام والصفاء مع المجتمع ومع الذات ومع الغير، ومع الصديق والعدو.

22- **تنافسي** : يدعوا المخاطبين إلى التنافس والمسابقة في كافة مجالات الحياة **قال الله تعالى :[وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [134/133 آل عمران]**

23- **هادف** : يهدف الخطاب الإسلامي إلى تحقيق خيري الدنيا والآخرة. (12)

المبحث الثاني : معنى الوسطية و المفاهيم المتعلقة بها:

يشتمل هذا المبحث على تحديد مفهوم الوسطية، وكذا المعاني المرتبطة به كالاعتدال، وما ينافيه تشددا كالغلو والإفراط، أو تساهلا كالتفريط والجفاء.

الفرع الأول: معنى الوسطية:

في اللغة: تأتي وسط - بالفتح - بمعني عدل، قال ابن فارس:وسط: بناء صحيح يدلّ على العدل، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه. وقال ابن منظور: ووسط الشيء وأوسطه: أعدله. وقال الفيروزآبادي : الوسط - محركة - من كل شيء: أعدله. (13)

كما قال زهير:

هم وسط يرضى الأنامُ بحكمهم ... إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

المنارة للاستشارات

وأما في الاصطلاح: فقد عرَّفها أحد المعاصرين بأنها: مؤهل الأمة الإسلامية من: العدالة، والخيريّة للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحجَّة عليهم. (14)

وعرَّفها عمر سليمان الأشقر: بأنها الأمر الوسط بين أمرين متطرّفين. (15)

وقد يفهم من هذا التعريف: أن الوسطية تعني مجرَّد التّجاور بين شيئين، إلا أن الوسطية الإسلامية لا تهدف إلى الجمع بين المتضادين أو المتعارضين أو التوسط بين النقيضين أو إرضاء الطرفين واتخاذ موقف محايد، كما أن الوسطية كما قد يتبادر للبعض ليست من التساهل المفرط والابتعاد عن المعاني الشرعية وعدم الوقوف عندها، فالبعض الناس - مثلا -من الذين افتتنوا بالغرب يظن أن الوسطية أن تتوسط بين أوامر الشرع وبين حضارة الغرب، فيؤدي به ذلك إلى أن ينكر أمورا قطعية من الدين، بل وينعت كل متمسك بها من المسلمين بالتطرف والغلو.

ومما سبق نستنتج أنها معنى يتسع ليشمل كل خصلة محمودة، فالوسطية تعني التوازن فلا يختل أمر على حساب آخر، فهي الاتزان الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

وقد دعا الله تعالى في آيات كثيرة إلى التوسط منها: قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [سورة البقرة: 143].

قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلوّ فيه، غلوّ النصارى الذين غلوا بالترهُّب، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبيائهم وكذبوا على ربّهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسّط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبّ الأمور إلى الله أوسطها. (16)

ويقول د. وهبة الزحيلي:" إن اتصاف الأمة الإسلامية بالعدالة والخيرية يؤهلها لأن تكون أمة القيادة والتوجيه ، لالتزامها شرف الكلمة والإحسان والعدل، والتوازن والاعتدال، ولصواب عقيدتها، وإحكام نظامها وشريعتها ومنهجها، فهي أمة الخير ، وتملك ناصية الميزان، ورأيها المعتمد على وحي الله تعالى هو الرأي السديد في معالجة جميع القضايا والشؤون". (17)

أما المفاهيم المتعلقة بالوسطية، فنذكرها كالتالي:

الفرع الثاني: مفهوم الاعتدال:

المنارة للاستشارات

الاعتدال لغة: الاعْتِدالُ: تَوَسُّطُ حالٍ بينَ حَالَيْنِ، في كَمٍّ أو كَيْفٍ، كقولِهم: جِسْمٌ مُعْتَدِلٌ بينَ الطُّولِ والقِصَر، وماءٌ مُعْتَدِلٌ بينَ البارِدِ والحَارِّ، ويومٌ مُعْتَدِلٌ طَيِّبُ الهَواءِ، ضِدُّ مُعْتَدِلٍ، بالذَّالِ المُعْجَمَةِ، وكُلُّ ما تَنَاسَبَ فَقَدْ اعْتَدَلَ، وكُلُّ ما أَقَمْتَهُ فَقَدْ عَدَلْتَه، بالتَّخْفِيفِ، وعَدَّلْتَهُ، بالتَّشْدِيدِ". (18)

أما اصطلاحا: فالاعتدال هو التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير، فالاعتدال يرادف الوسطية التي ميَّز الله بها هذه الأمة، وقد بيَّن الرسول صلى الله عليه وسلم هذا بقوله: "والوسط: العدل". (19)

الفرع الثالث: مفهوم الغلو والإفراط:

أ- **معنى الغلو:في اللغة:** قال الجوهريُّ : وغلا في الأمر يغلو غلوًّا، أي جاوز فيه الحدّ. (20)

والغلو في الشرع: مجاوزة الحدّ في الأمر المشروع، وذلك بالزّيادة فيه أو المبالغة إلى الحدّ الذي يُخرجه عن الوصف الذي أراده وقصده الشَّارع. (21)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الغلوّ: مجاوزة الحدّ بأن يُزاد في الشيء، في حمده أو ذمّه على ما يستحقّ ونحو ذلك" (22)، وقال ابن حجر: هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد". (23)

وقد جاء ذكر لفظ الغلو في القرآن الكريم في موضعين وكان الخطاب فيهما للنصارى باعتبارهم أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وأما الموضعان:

فأحدهما: في قوله تعالى: **[يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾** (سورة النساء 171).

والموضع الثاني: قوله تعالى: **[قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾** (سورة المائدة 77).

ب- الإفراط:

المنارة للاستشارات

لغة: الإفراط: هو الإعجال والتقدّم، وأفرط في الأمر: أسرف وتقدَّم. وكل شيء جاوز قدره، فهو مفرط. (23) قال تعالى:**[إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾** (طه: من الآية 45)، أي نخاف أن يعجل علينا إذ نبلّغه كلامك أو أمرك، يفرط ويعجل. (24)

ومن خلال ما سبق يتَّضح من تعريفي الغلوّ والإفراط: أنَّ كلا منهما يصدق عليه: تجاوز الحدّ، وإن كان كل واحد منهما يحمل معنى أبلغ من الثَّاني في بعض ما يستعمل فيه، فالذي يُشدّد على نفسه بتحريم بعض الطيّبات، وصف الغلوّ ألصق به، والذي يُعاقب من اعتدى عليه عقوبة يتعدَّى بها حدود مثل تلك العقوبة، فوصف الإفراط ألصق به.

الفرع الثاني: التَّفريط والجفاء:

أ- **التَّفريط في اللغة:** هو التَّضييع كما في لسان العرب فرّط في الأمر يُفرِّط فرطًا، أي: قصَّر فيه وضيَّعه حتى فات، وكذلك التّفريط. (25) يُقال: فرَّطت في هذا الأمر حتى فات، إذا توانى فيه.قال تعالى:**[مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ]** (الأنعام: من الآية 38).

قال الطبريّ: معناه: ما ضيَّعنا إثبات شيء منه. (26)

ب- **الجفاء:** قال ابن منظور جفا الشيء يجفو جفاءً وتجافى: لم يلزم مكانه، كالسَّرج يجفو عن الظّهر، وكالجّنب يجفو عن الفراش. (27) وفي التَّنزيل:**[تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ] (السجدة: من الآية 16)** قال الطبري : تتنحَّى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله، الذين وصفت صفتهم، وترتفع عن مضاجعهم التي يَضْطَجعون لمنامهم، ولا ينامون. (28)

فالجفاء يستعمل غالبًا فيما فيه قصد الأمر من التَّرك والبعد وسوء الخلق. أمَّا التَّفريط فمنشؤه غالبًا التَّساهل والتَّهاون، فمثلا عقوق الوالدين، جفاء، بينما تأخير عمل اليوم إلى الغد دون سبب تفريط.

المبحث الثاني: مظاهر اعتدال الخطاب الديني في السنة النبوية:

في هذا المحور أبيّن عناية السنة بهذا المنهج في عدة مجالات، وقبل ذلك ألفت انتباهكم إلى أنه وردت عدة أحاديث تشير إلى معنى الوسطية، ومن أدلها على ذلك حديث عبد الله بن مسعود، قال: "خط لنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم خطًّا، ثم قال: هذه سبيل الله، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه سبل على كل

المنارة للاستشارات

سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ: **[وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ]** [سورة الأنعام، الآية: 153] (29)

الفرع الأول: في جانب العقيدة:

البند الأول: بعد السنة النبوية عن الافراط:

وذلك بحيث لو بالغ الإنسان في إتباع ما تشابه في العقائد وغلا فيها لابد إن يصل إلى حد يكون فيه مبتدعا، ويأتي بما لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا الذي يؤدي بالناس إلى تكفير المسلمين، وإلى الغلو في الدين، بأن يأخذوا جزئية واحدة ليست من المحكم البين فيجعلوها محكا للناس ومعيارا يمتحنون هم على أساسها، فليس ذلك من المنهج الذي كان عليه رسول الله، وإنما كان صلى الله عليه وسلم يأخذ الناس بمحكم الدين وبالأسهل والأخف، وفي حديث جبريل عندما سأله عن الإيمان، ذكر ستة أمور فقط، قال:**[أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر وتؤمن بالقدر خيره وشره]**. (30)

وعند مسلم في صحيحه عن البراء قَالَ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّبِيتِ قَبِيلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ:**[أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَمِلَ هَذَا يَسِيرًا، وَأُجِرَ كَثِيرًا]**. (31)

وكانت مئات الأصنام صفوفا داخل الكعبة وحولها، وقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا وعشرين سنة يدعو، ما فكر حتى في عمرة القضاء أن يمسَّ منها وثنا.

هذا، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطابه من المتكلفين، لذلك لا تجد في أي حديث ولا سورة أية مناورة على الطريقة المنطقية، أو على الطريقة الفلسفية مع أي مجادل، أو أي حبر من أحبار أهل الكتاب، أو عالم من علماء ذلك الزمان، أو فيلسوف من الفلاسفة، بل عندما جاء نصارى نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أنزل عليه الكتاب المحكم فيهم، فقال:**[قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ]** سورة آل عمران 64.

وكذلك في مجادلته للمشركين، فإنما كان يقرأ عليهم القرآن، فعندما آتاه عتبة بن ربيعة، وأراد أن يجادله وذكر له حجج المشركين، استمع إليه رسول الله بكل أدب حتى أكمل ما عنده من الحجج، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم أفرغت قال نعم

المنارة للاستشارات

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم:[**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ: [فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾**، فَقَالَ لَهُ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ، حَسْبُكَ، مَا عِنْدَكَ غَيْرَ هَذَا ؟ قَالَ: لاَ. (32)

وهذا الاستدلال المنطقي الذي قد يلجأ إليه إن أدى إلى الإقناع، فقد يقنع شخصا واحدا في المليون، في حين نجد أن الملايين من الذين أسلموا كان من غير هذا النهج الفلسفي المعقد، حيث قرئ عليهم هذا القرآن، فمن هداه الله رأى أنه عين الصواب والحق.

ومثل ذلك: قصة جعفر بن أبي طالب مع النجاشي، حينما هداه الله بما استمع إليه من القرآن الكريم من قوله تعالى:[**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**] سورة آل عمران/59.

البند الثاني: بعد السنة عن التفريط:

لقد ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في الثبات وعدم التفريط في العقيدة، ففي الحديث السابق في مجمع الزوائد وغيره:" أن عتبة حينما جاء إلى النبي يجادله، قال له"يا ابن أخي: إن كنت إنما تريد بما جئت من هذا القول مالا، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تريد شرفا،ة شرَّفناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملَّكناك علينا" (33)، إلى آخر ما قال له، فما كان من خطاب النبي إلا أن تلا عليه الآية التي تؤكد على ثباته على الحق الذي جاء به.

وفي صحيح مسلم قول الرسول، صلى الله عليه وسلم:[**لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ لا يضرُّهم من خذلهم حتَّى يأتي أمر الله وهم كذلك]**. (34)

وها هو سعد بن أبي وقاص حينما أضربت أمه عن الطعام، يهمس في أذنها: يا أماه: لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسا تلوى الأخرى على أن أرجع عن شيء من ديني، ما رجعت، فاحيي أو فموتي ».

كذلك في زماننا يعد تراجع الخطاب والمسامحة فيه في أمور العقيدة هو غاية في التغيير والتبديل، ومثل ذلك المسامحة مع بعض الفرق المبتدعة، كالشيعة وأمثالهم، حيث عقدت مؤتمرات تهدف إلى التقريب مع الشيعة، ومن الذين كتبوا حول هذا الموضوع الدكتور مصطفى السباعي من خلال كتابه:"السنة ومكانتها في التشريع"، فذكر

المنارة للاستشارات

أن من أراد التقريب بين السنة والشيعة فعليه أن يسعى إلى تقريب المبتدعة إلى السنة لا إلى تقريب السنة إلى المبتدعة، وهو قد جربهم في ذلك طويلا وتوصل إلى أنه ما اتفق معهم على شيء إلا نقضوه.

الفرع الثاني: في جانب العبادة:

البند الأول: بعد السنة عن الافراط:

إن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الداعية والخطيب الأول، لم يكن متكلفا ومتشددا في العبادة، ولذلك أنكر على الثلاثة، في الحديث المتفق عليه، وقال:[**فمن رغب عن سنتي فليس مني**] (35)، ونهى الذين أرادوا الوصال وقال:[**اكلفوا من الأعمال ما تطيقون**]. (36)

وجاء في الصّحيحين وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه:[**أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شيخًا يهادي بين ابنيه، فقال: ما بال هذا ؟! قالوا: نذر أن يمشي، قال: إنَّ الله عن تعذيب هذا لنفسه لغني، وأمره أن يركب**]. (37)

ومن هنا قال بعض السلف:"كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتعبدوها" (38)، ولذلك أيضا قال الإمام مالك: "إن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها". (39)

ومن أساليبه صلى الله عليه وسلم أيضا: ترك العمل مخافة المشقَّة على أمَّته: ومن ذلك قصَّة صلاة التَّراويح «حيث صلى، صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في رمضان، فصلَّى بصلاته ناس، ثم صلَّى القابلة، فكثر النّاس، ثم اجتمعوا في الليلة الثَّالثة أو الرّابعة، فلم يخرج إليهم، فلما أصبح، قال: [**قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أنيّ خشيت أن تُفرض عليكم**]، وفي الرّواية الأخرى:[**فتعجزوا عنها**]. (40)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:[**لولا أن أشقّ على أمّتي لأمرتهم بالسّواك عند كل وضوء**]. (41)

ومن الإفراط: أن يظن الدعاة والعباد أن العبادة ناقصة وعليه أن يكملها، فيأتي بما لم يأذن به الله.

ومن الغلو أيضا: أن يغتَّر فيظن أنه وصل إلى مقام في العبادة بحيث لا تضره معصية يأتيها، وقد عرف اليهود بذلك، حتى قال أحدهم:"لو ألقاني الله في النار لانطفأت".

المنارة للاستشارات

وقد يصل الداعية في خطابه إلى غلو كبير يظن فيه أنه وصل إلى مقام يتحد فيه مع المعبود، وهو ما يسمى بوحدة الوجود، أو الاتحاد والحلول، فيزعم أن من عرف أتاه اليقين، متأولا بذلك قوله تعالى:[**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يأتيك الْيَقِينُ**] سورة الحجر/99.

البند الثاني: بعد السنة عن التفريط:

إن الذين يقصرون في العبادة لا يكونوا أئمة للمؤمنين، فالداعية وهو يمثل القدوة لا ينبغي له التقصير والتهاون في العبادة، فيعتمد على آيات الوعد ويغفل عن آيات الوعيد، ومن قصر في العبادة تجاسر على المعصية، ولذلك يقول تعالى:[**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**] سورة العنكبوت/45.

ونخلص إلى أن الوسطيّةُ في ذاتِ العبادةِ: أن لا يُعبَد الله إلاّ بما شرعَه من طريقِ رسوله محمّد صلى الله عليه وسلم، فالتقصيرُ فيها جفاءٌ وفِسق، والزيادةُ عليها بدعةٌ وغلوّ.

الفرع الثالث: في جانب الأخلاق والسلوك:

البند الأول: بعد السنة عن الإفراط:

من أوضح الأمثلة على وسطية الإسلام في السلوك والأخلاق: دعوته المتكررة إلى التوسط والاعتدال في الإنفاق والتحذير من التطرف في الإسراف أو التقتير، قال تعالى:[**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾**. (سورة الفرقان : 67)

فممارسة الخطاب الديني تقتضي من الخطيب أن يقوم بالحق الذي عليه باعتدال وتوسط، فإذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر فلا يكون في ذلك غلظة، بل يكون باللين والتلطف، قال تعالى في نبيه صلى الله عليه وسلم:[**فبما رحمة من الله لنت لهم** ﴾ سورة آل عمران/159.

ولا يمكن لأي داعية في زماننا أن يأتي بخلق أفضل من خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد مدحه الله قائلا فيه:[**وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ (سورة القلم/4)، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل حتى المشركين بالحكمة والخلق الحسن، وكان يخاطبهم بأحب أسمائهم إليهم، كما قال لعتبة:[**قل يا أبا الوليد: أسمع** ﴾ (42)، ويحرص على إعطاءهم مكانتهم بعد غلبة التوحيد، كما فعل مع أبي سفيان، فقال:[**ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن** ﴾ (43)، فاستراح أبو سفيان أن ذكر اسمه، ومهّد لتسليم مكة دون حرب.

المنارة للاستشارات

وكذلك كان تعامله صلى الله عليه وسلم مع اليهود؛ وهم الذين حاولوا قتله مرارا، وجعلوا له السُّم في الشاة، فإنه رغم كل ذلك كان يعود مرضاهم ويجيب دعوتهم.

وهو تصرفه نفسه مع المنافقين، فقد كان يعرفهم، ومع ذلك كان يبتسم في وجوههم.

وحتى في ملبسه ونومه، يقول ابن القيم في زاد المعاد:" وكان نومه أعدل النوم، وهو أنفع ما يكون من النوم، والأطباء يقولون: هو ثلث الليل والنهار، ثمان ساعات". (44)

البند الثاني:بعد السنة عن التفريط:

كان النبي أشد الناس غضبا إذا انتهك الدين، وكما في الحديث:" إن الله لا يستحي من الحق، ولذلك روى ابن مَسْعُودٍ:**[أَنَّ رَجُلًا كان يتأخر عن الصلاة، لأن إطالة الإمام، فقال ابن مسعود: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ فَإِنَّ فِيهِمْ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ]**.(45)

وفي حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:**[ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط، ما لم ينتهك من محارم الله، فإذا انتهك من محارم الله شيء، كان أشدهم في ذلك غضبا، وما خيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما]**. (46)

وقد يعتري الداعية من الحياء ما يجعله يفرّط في خطابه الديني، ويقصّر في القيام بواجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعلى الإمام أن يراعي الدين فيما يليه، فلا يدخل من هذا الثغر الذي هو قائم عليه، فهو حرسي في الخدمة.

هذا، ولا يمكن أن نتتبع جزئيات هذا الموضوع، لكن تكفي اللبيب الإشارة، فالمنهج المستقيم وسطي في كل الأمور صغائرها وجلائلها.

المبحث الثالث: أسس الخطاب الديني المعتدل:

أ- الربانية في المصدر والمنشأ:

فالخطاب الديني يجب أن يستمد كل مبادئه وقيمه من تعاليم الدين الحنيف التي أمر الله بها، التي تراعي التوازن بين العقل والوحي، وبين المادة والروح، بين الحقوق والواجبات، وتراعي جميع جوانب الحياة دون إفراط أو تفريط دون غلوا أو تشدد وانحلال، فهو منهج الاعتدال والتوسط.

المنارة للاستشارات

ولابد من جعل الخطاب الديني متصلا بالأصول العامة للشريعة وعدم إغفال الواقع المعاصر الذي نعيش فيه، ففي الحديث:[**الحكمة ضالة المؤمن أنا وجدها، فهو أحق بها**]. (47)

ب- التيسير والتسهيل على الناس:

انطلاقا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم:[**يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا**] (متفق عليه)، فكان الرسول ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرها وأنّب الرسول الله صلى عليه وسلم معاذ بن جبل حينما أطال في الصلاة بالناس، فقال:[**أفتان أنت يا معاذ، من أمَّ فليخفِّف**] . (48)

وروت عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال:[**إنَّ الله لم يبعثني معنّتًا ولا متعنِّتًا، ولكن بعثني معلِّمًا ميسِّرًا**]. (49)

ت- التدرج في الخطاب:

الخطاب ألمسجدي يهدف إلى الوصول بالناس لتطبيق الدين في حياتهم، ليفوزوا في الدارين. ولتحقيق المراد، لا بد من التدرج والمرحلية في ذلك، اقتداء بالرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، حيث بدأ الرسول بالأهم فألاهم، ورتب حياة الناس ونظمها تدريجيا.

ولا يمكن أن يقال أن التدرج يكون في التشريع ابتداء، وإنما يصلح ذلك في كل زمان ومكان، فهناك بعض الأعراف الغير المشروعة والتي استقرت لدى المجتمعات حتى كادت إن تصبح مسلَّمات، وليس بالإمكان إزالتها إلا التدريج.

ث- مراعاة الأولويات: التجديد في الخطاب الديني

الأحرى بالخطاب ألمسجدي أن يهتم بفقه الأولويات، لأن الفقهاء استقرَوا تصرفات الشارع الحكيم وبينوا قدر مراعاته ذلك في التشريع والإحكام، وأسسوا في ذلك قواعد، كقولهم: ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، والمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة....الخ.

ج- التجديد في الخطاب الديني:

ينبغي أن يكون الخطاب متنوعا يروي ظمأ الجميع من مفكرين ومثقفين ورياضيين وعلماء ومتعلمين وأغنياء وفقراء، يخاطب كل واحد على حسب فهمه وقدرته، وقدوتنا في ذلك سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، فكان مخاطبا للصغير والكبير،

المنارة للاستشارات

للعالم والجاهل، للغني والفقير للمسلم والكافر، وكذلك للنساء والرجال للسيد والعبد، وغير ذلك.

ويشهد العالم اليوم تطورات هائلة في الاقتصاد، والسياسة،ومجال التقنية، والمعلومات والاختراعات،وهذه التطورات التقنية والاتصالية تغلغلت في حياتنا، وارتبطنا بها، فلا بد من خطاب مسجدي واع، ومعاصر، لأن التجديد سنّة كونية من سنن الحياة، فالدين الإسلامي صالح لكل زمان ومكان، ومن ثَم فإن الوقوف والثبات على معنى واحد يضرّ بالدين مثلما يضرّ أيضا بحركية الحياة، وبالإنسان.

ح- مراعاة الحكمة:

قال عز وجل:﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل: 125].

والحكمة هي وضع الشيء في مكانه من غير زيادة ولا نقصان، على الخطيب مراعاة المخاطبين وأحوالهم ، ويراعي الأحداث ومتغيراتها.

خاتمة:

في خاتمة هذا البحث، نوجز أهم ما توصلنا إليه كما يلي:

1- كان صلى الله عليه وسلم يأخذ الناس في خطابه بمحكم الدين البيّن.

2- لم يكن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم متكلفا فيه أو معقدا، بل كان في غاية اليسر والسهولة واللين والحكمة.

3- كان يتجنب في خطابه أسلوب المجادلة والحوار العقيم، وكان يصغي إلى محاوره بكل بأدب واهتمام.

4- يترك الأمر الذي لا ضرر فيه خشية المشقة على أمته، واتقاء الفتنة كترك هدم الكعبة وبنائها على أساس إبراهيم عليه السلام.

5- كان يرتكز خطابه صلى الله عليه وسلم على القرآن الكريم، ويتميز بالإيجاز إذا اقتضى الحال ذلك كما في مكاتبته للملوك والأمراء.

6- إتباع أسلوب اللين في ممارسة الخطاب الديني، لا تعني بأي حال التراجع والمسامحة في ثوابت الدين وأصول الشريعة.

وفي الأخير أوصي الدعاة و العاملين في حقل الخطاب الديني بما يلي:

المنارة للاستشارات

1- الخطاب الديني ككل الأعمال مفتقر إلى النية والإخلاص والصدق فيه، فالوعظ مهما بلغ فصاحة وبيانا، لا يصل إلى هدفه إذا قارنته نية مغشوشة، فقد سمع الحسن البصري ناصحا قويّ البيان، لكنه لم يتأثر به، فقال: يا هذا، إن بقلبي شيئا أو بقلبك.

2- ضرورة تحرير المرجعية الإسلامية الصحيحة وترسيخها في الخطاب الديني المعتدل، فالبلدان التي فيها مرجعية إسلامية معتبرة ، بحيث يرجع الناس في أمور دينهم إلى أهل الثقة والاعتدال والورع، فإنها تكون بمنأى عن شتى ظواهر الغلو والتقصير والتطرف.

3- توجيه فئة الشاب والتكفل بهم، بتوضيح منهج الخطاب الديني الوسطي الصحيح والذي قد بينا ملامحه فيما سبق، فكثير من الشباب ليس لهم شغل إلا تقويم عقائد الناس ومستواهم في الدِّين فيكفِّرون هذا، ويفسِّقون هذا، ويبدِّعون هذا، وغير ذلك.

وهو أمر مخالف لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم و الصحابة و السلف الصالح من بعده، فالله لا يحتاج إلى تقويمنا نحن للأشخاص، كما قال عز وجل:**[مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ]** سورة ق/18.

4- إتاحة الفرصة لأهل العلم والاعتدال في أن يبلغوا رسالة الله، ولرسم معالم الخطاب الديني المعتدل، لأنه إذا سدّت الأبواب في وجوههم، سيجد أولئك الفرصة سانحة لتمرير الفتاوى الشاذة و الأفكار الهدامة والمتطرفة.

في الأخير نسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المنارة للاستشارات

هوامش البحث :

1- خصائص الخطاب الإسلامي المعاصر د.عبد الملك منصور المصعبي.

2-الخطاب الديني في الإسلام أ. مبروك بن عيسى ص.4

3-لسان العرب لابن منظور ج1ص.360

4-تلوين الخطاب الديني لابن كمال باشا ص.334

5-ينظر الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة د.عبد العزيز التويجري.

6-ينظر الخطاب الديني للحركات الإسلامية ونمط التنشئة الاجتماعية. مجلة الثقافة الإسلامية 09./2012

7-تطوير الخطاب الديني كأحد التحديات التربوية المعاصرة. أ. يحيى أبو زينة

8-الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة.

9-سمات الخطاب الإسلامي المعاصر د. عصام البشير.

10-ينظر الخطاب الديني في الإسلام ص.16

11-تطوير الخطاب الديني كأحد التحديات التربوية المعاصرة. أ. يحيى أبو زينة

12-الخطاب الديني في الإسلام.ص19. وص 40

13-أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، معجم مقاييس اللغة مادة (وسط). أبو الفضل جمال الدين ممد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب مادة (وسط). محمد بن يعقوب الفيروزبادي، القاموس المحيط مادة (وسط).

14-فريد عبد القادر، الوسطيَّة في الإسلام، ص29.

15-عمر سليمان الأشقر، خصائص الشريعة الإسلامية، ص.86

16-أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن ج7/2.

17-وهبة الزحيلي، وسطية الإسلام وسماحته، ص7.

18-محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس، ج448/29.

19-أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي، صحيح البخاري، ج1215/3.

20-إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح مادة (غلا) (6 / 2448).

21-ناصر بن سليمان العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم ص56.

21-ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم (1 / 289).

22-ابن حجر، فتح الباري (13 / 278).

23-ابن منظور، لسان العرب مادة (فرط).

24-الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن (16 / 170).

25-ابن منظور، لسان العرب مادة (فرط).

26-الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن (7 / 188).

27-ابن منظور، لسان العرب مادة (جفا).

28-الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن (21 / 99).

المنارة للاستشارات

29-أخرجه أحمد (3/ 397). والدارمي (78/1، 79) رقم (202). وحسنه الألباني كما في المشكاة رقم (166) ونقل عن الحاكم تصحيحه.

30-أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج36/1.

31-مسلم، صحيح مسلم، ج44/6.

32-الحاكم، مستدرك الحاكم، ج307/3.

33-نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج435/5 .

34-مسلم، صحيح مسلم، ج52/6.

35-مسلم، صحيح مسلم، ج129/4.

36-مسلم، صحيح مسلم، ج774./2.

37-البخاري، صحيح البخاري، ج659/2.

38-محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم ، ج160/7.

39-ابن شرف النووي، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ص7.

40-مسلم، صحيح مسلم، ج524/1.

41-البخاري، صحيح البخاري، ج682/2.

42-علي بن حسام الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج136/13.

43-مسلم، صحيح مسلم، ج1405/3.

44-محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد،ج159/1.

45-البخاري، صحيح البخاري، ج142/1.

46-أبو عيسى الترمذي، الشمائل المحمدية، ج391/1.

47-الترمذي، سنن الترمذي، ج30/5.

48-البخاري، صحيح البخاري، ج249/1.

49-مسلم، صحيح مسلم، ج188/4

المنارة للاستشارات